Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 9, Issue 9 (2025) • P: 72 - 61
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

Semiotics of Clothing in the Novel Tawq Al-Hamam: A Reading of Cultural and Social Symbols

Co-Prof. Arwa Dawood Khomayyies
Collage of Art & Design | Jeddah University | KSA

Received: 09/07/2025
Revised: 22/07/2025
Accepted: 18/08/2025
Published: 30/09/2025

* Corresponding author: arwadk@gmail.com

Citation: Khomayyies, A. D. (2025). Semiotics of Clothing in the Novel Tawq Al-Hamam: A Reading of Cultural and Social Symbols. *Journal of Humanities & Social Sciences, 9*(9), 61 – 72. https://doi.org/10.26389/AJSRP.R110725

2025 © AISRP • Arab Institute for Sciences & Research Publishing (AISRP), United States, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This research examines the semiotics of clothing in the novel Tawq Al-Hamam by Raja Alem, through an analysis of the cultural symbols and social meanings associated with dress as a tool for conveying layered societal and historical dimensions. The study aims to uncover how garments are employed to shape the literary identity of characters and to highlight class and social distinctions through visual elements embedded in clothing. The research adopts a semiotic methodology rooted in the theories of Roland Barthes and Yuri Lotman, focusing on the reading of cultural signs within literary texts. Due to the scarcity of visual or documented references to popular dress in Mecca prior to the establishment of the Saudi state, the study relies on the novel's narrative memory as a storytelling archive that expresses the lived realities of society and illuminates the specificity of time and place.

The findings reveal that clothing in the novel is not merely descriptive, but serves as a profound semiotic device—subtly documenting popular history and collective memory through fabric, silhouettes, and stylistic expression. The study concludes that clothing plays an active role in constructing the psychological depth of characters and mirrors the social transformations in Hijaz during the final phase of Ottoman rule.

This study recommends further exploration of clothing as a cultural text within literature and highlights the potential of this lens to inform creative domains such as theatre, screen production, and children's literature—reviving collective memory through visual and imaginative narratives.

Keywords: Semiotics of Fashion, Tawq Al-Hamam, Cultural Symbols, Meccan Identity, Collective Memory.

سيميائية الأزياء في رواية "طوق الحمام": قراءة في الرموز الثقافية والدلالات الاجتماعية

الأستاذ المشارك / أروى داود خميّس
كلية التصاميم والفنون | جامعة جدة | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يتناول هذا البحث دراسة سيميائية الأزياء في رواية طوق الحمام للروائية رجاء عالم، وذلك من خلال تحليل الرموز والدلالات المرتبطة بالملبس، بوصفه أداة ثقافية تحمل أبعادًا اجتماعية وتاريخية. تهدف الدراسة إلى الكشف عن كيفية توظيف الأزياء في تشكيل الهُوية الأدبية للشخصيات، وإبراز الفروقات الطبقية والاجتماعية من خلال العناصر البصرية المرتبطة باللباس. اعتمد البحث على المنهج السيميائي الذي يُعنى بتحليل العلامات والرموز الثقافية داخل النصوص الأدبية، بالاستناد إلى مقاربات رولان بارت ويوري لوتمان. ونظرًا لشحّ المصادر البصرية أو الوثائقية التي توثّق الأزياء الشعبية في مكة خلال فترة ما قبل الدولة السعودية، لجأ البحث إلى تتبّع الذاكرة المحكية داخل النص، باعتبارها وثيقة سردية تعبّر عن تجلّيات الحياة الاجتماعية والمعيشية، وتُضيء على خصوصية المكان والزمن. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الأزياء في الرواية لم تكن عناصر وصفية عابرة، بل أدوات سيميائية عميقة، كُتبت بحسّ توثيقي خفي، يُحمّل القارئ مسؤولية استحضار التاريخ الشعبي والجمعي عبر الأنسجة والهيئات والأساليب. وخلصت الدراسة إلى أن للأزياء دورًا فاعلًا في رسم البنية النفسية للشخصيات، وربطها بالتحولات المجتمعية في الحجاز نهاية العهد العثماني. وتوصي الدراسة بإجراء مزيد من الأبحاث التي تستكشف اللباس بوصفه نصًا ثقافيًا يُسهم في إنتاج المعنى داخل السرد الروائي، كما تُبرز أهمية هذه المقاربة في مجالات أخرى كالمسرح، والإنتاج الدرامي، وأدب الطفل، بما يعيد صياغة الذاكرة الجمعية بصريًا وإبداعيًا.

الكلمات المفتاحية: سيميائية الأزياء، طوق الحمام، الرموز الثقافية، الهوية المكية، الذاكرة الجمعية.

المقدمة:

يُنظر للأزياء كظاهرة ثقافية واجتماعية تتجاوز البعد الجمالي لتُصبح مؤشرًا على التحولات الاجتماعية والتاريخية داخل المجتمع. إن دراسة الأزياء في الأدب ليست مجرد تحليل للعناصر البصرية فحسب، بل هي رحلة إلى فهم النظام الرمزي الذي يُعبّر عن الهوية والانتماء الاجتماعي والثقافي. وفي ظل الفجوة التي كانت في بدايات المجتمع السعودي ونهايات الحكم العثماني إذ لم يكن هناك دلالات مادية كافية أو أي نوع رسومات أو لوحات أو ما يكفي من الصور للرجوع إليها في توثيق الأزياء في منطقة الحجاز، فإن الرجوع إلى التراث المكتوب و المحكي كالقصص والشعر والروايات صار أمرا يعد به لمعرفة سياقات الأزياء الاجتماعية والثقافية (آل زيد، 2015)

وتُعتبر الأزياء بمثابة لغة غير لفظية تحمل في طياتها إشارات ودلالات ترتبط بتكوين الهوية الفردية والجماعية، كما أن لكل تفصيل منها تاريخٌ وثقافة متجسدة، يُسهم في رسم صورة معقدة للواقع الاجتماعي, وضمن هذا السياق يقول (Bruzzi,2023) : "الأزياء في الأدب ليست مجرد زخرفات، بل هي نصوص موازية تكشف ما لا تقوله الحوارات" .ومن هذا المنطلق يُنظر للأزياء كعنصر أساسي في بناء البنية الثقافية للمجتمع، إذ تعكس الأزياء من خلال رموزها وتصاميمها التجليات الثقافية والاجتماعية المتنوعة(بارت، 1972؛Eco ، 1976) حيث تظهر العلاقة بين التطور الاجتماعي واختيار الرموز البصرية التي تميز كل فئة اجتماعية.

وفي سياق الأدب، تُعد رواية طوق الحمام مثالاً حيًا على كيفية تجسيد الأزياء للدلالات الاجتماعية والتاريخية. فالعمل الأدبي يُستخدم فيه اللباس ليس فقط كوسيلة لتعزيز الجاذبية البصرية، بل كأداة نقدية لاستحضار الذكريات التاريخية والتأكيد على الانقسامات الطبقية. وقد ذكر الباحثون أن دراسة الرموز المرتبطة بالأزياء يمكن أن توفر رؤى جديدة حول طبيعة التحولات الاجتماعية والثقافية، مما يجعلنا نعيد التفكير في دور الأدب كمرآة للواقع (البدر، 1988؛ الزهراني، 2002).

ويتضمن البحث الحالي دراسة سيميائية تهدف إلى تحليل واستكشاف المعاني الضمنية التي يحملها اللباس في النص الأدبي، معتمدين على منهجية نقدية تستخلص العناصر الرمزية من خلال قراءة معمقة للنص وتحليل السياقات التاريخية والاجتماعية التي أحاطت به. وقد أُعتمد في هذا التحليل على أعمال نظرية مثل نظرية السيميائيات لدى بارت، والتي تؤكد أن النص البصري يحمل معانٍ متعددة تتشكل من خلال تفاعل العوامل الاجتماعية والثقافية (بارت، 1972)، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى تناولت مفهوم الثقافة البصرية وتأثيرها في تشكيل الوعي الاجتماعي (أنور، 1999؛ الخطيب، 2005).

من خلال هذه الدراسة، يتم تقديم إطار نظري متكامل يمكّن الباحثين من فهم كيفية ارتباط الرموز البصرية في الأزياء بتكوين الهويات الاجتماعية والثقافية، مع تسليط الضوء على كيفية استخدام هذه الرموز للتعبير عن التاريخ المشترك والتجارب الحياتية المتراكمة في إطار المجتمع. وبذلك، يهدف البحث إلى فتح آفاق جديدة في مجال الدراسات السيميائية والأدبية، مما يوفر أرضية خصبة لإعادة النظر في العلاقة بين الفن والواقع الاجتماعي من خلال عدسة الأزياء كظاهرة ثقافية محوري

أهداف الدراسة:

1. تحليل الدلالات الثقافية والاجتماعية للأزياء في رواية "طوق الحمام" عبر المنهج السيميائي.
2. تحديد دور الأزياء في تشكيل هوية الشخصيات وعلاقتها بالسياق المكي (الزماني والمكاني)
3. حصر الأزياء النسائية والرجالية التي ورد ذكرها في الرواية واستكشاف أصولها ومسمياتها

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

1- هل يمكن تحليل وفهم الدلالات الثقافية والاجتماعية للأزياء في رواية "طوق الحمام."
2- هل استخدمت الأزياء للتعبير عن هوية الشخصيات وتشكيلها في سياق مكة الثقافي الزماني والمكاني؟
3- هل يمكن حصر الأزياء النسائية والرجالية التي وردت في الرواية في المجتمع المكي وحصر أصولها ومسمياتها؟

فروض الدراسة:

- من الممكن تحليل واستباط الدلالات الثقافية والاجتماعية في رواية طوق الحمام
- استخدمت الأزياء في الرواية للتعبير عن هوية الشخصيات المكية ودورها في الرواية ضمن السياق المكاني والزماني
- يمكن حصر الأزياء المختلفة التي ورد ذكرها في الرواية في المجتمع المكي ومسمياتها

أهمية الدراسة:

تسلط الدراسة الضوء على الأزياء في رواية "طوق الحمام" وكيف تعكس هوية المجتمع المكي، كما تبرز دور الأزياء في الأدب العربي بشكل عام مما يساعد على فهم السياق الثقافي والاجتماعي لمكة خلال فترة الرواية، وتكمن أهمية الدراسة في إثراء الدراسات الأدبية التي تتناول سيميائية الأزياء، وتقدم منظورا جديدا لفهم دلالات الأزياء في الأدب العربي. بالإضافة لدعم القارئ في فهم أعمق للشخصيات والسياق التاريخي والاجتماعي وتنوع الأزياء ومسمياتها في المجتمع المكي

منهج الدراسة:

استخدم المنهج السيميائي في هذه الدراسة حيث تم استخلاص العبارات التي تحتوي على إشارات أو مصطلحات متعلقة بالملابس ثم حصر مسمياتها وتصنيفها و تحليل المؤشرات النصية والرموز الظاهرة وتبيان العلاقة بين العلامات والرموز وإعادة تأويلها بما يتناسب مع السياق الثقافي للنص.

حدود الدراسة:

- تركز الدراسة على الأزياء النسائية والرجالية ومسمياتها وأصولها في رواية "طوق الجمام" فقط في مكة في أواخر العهد العثماني
- تحليل الأزياء من منظور سيميائي دون التطرق لتحليلات أخرى
- دراسة الأزياء في سياقها الثقافي والاجتماعي المحدد بالرواية

الأزياء: كعلامات سيميائية في الرواية

تعد الأزياء من أكثر العلامات المستخدمة في تحليل الروايات سيميائيا لما لها من دلالات اجتماعية ونفسية في العمل الأدبي، وتقول فيرجينيا وولف في روايتها "أورلاندو": "للملابس وظائف أكثر أهمية من مجرد إبقائنا دافئين فهي تغيّر نظرتنا إلى العالم ونظرة العالمِ إلينا" (Woolf ،2003) لذا فإن اعتبر الروائي الأزياء أداة في الرواية وعرف كيف يستخدمها فإن ذلك سيكون مدعاة لتطوير عمله.

والأزياء في الرواية لها دور في إظهار الجوانب المختلفة للشخصيات، كالطبقة الاجتماعية والمهنة والهويّة الشخصية، كما تلعب الأزياء دورًا مهمًا في الأدب، إذ تعكس أيضًا توجهات ومعتقدات الشخصيات، وقد تساهم في تصاعد الحبكة.

وفي رواية "الحرف القرمزي"، للكاتب الأميركي ناثانيال هورثورن، تخيط البطلة "الحرف القرمزي"على ثيابها. وتتمحور كلّ القصة حول هذا الحرف وكيف يتغير معناه ليصبح رمزا في تصاعد الرواية الدرامي، وهذا رمز له معان اجتماعية مختلفة لها علاقة بسياق الرواية (Hatwthhorne,1851)وعلى الجانب الآخر يمكن أن تكون الروايات مصدر إلهام لدور الأزياء العالمية كما كانت أعمال وولف مصدرا لمجموعة أزياء "جيفنشي" الفرنسية لخريف وشتاء 2020 إذ عبرت أزياء رواية "أورلاندو" لفرجينيا وولف عن قضايا معقدة وجدلية كالهوية والزمن والتحولات الجندرية ، هذه المعاني المقتبسة من الرواية- والتي كانت الأزياء في الرواية معبرة عنها- جعلتها جيفنشي ملهمة لمجموعتها، وهذا يتفق مع قول أوسكار وايلد: "الموضة سريعة الزوال والفن خالد، فماذا لو أعاد الأدب إنتاج الموضة؟" وهذه فكرة قد تشكل مصدرا مهما لاستلهام التصميمات كأن تكون هناك أزياء مقتبسة من روايات ألبير كامو أو نجيب محفوظ (السهوي، 2024) أو روايات سعودية مثل غراميات شارع الأعشى مثلا.

ويؤثر اللباس على شعور النساء اللواتي يرتدينه وعلى وعيهن بأنفسهن وعلى نظراتهن لذواتهن، وعلى الطريقة التي تفسَر بها هذه الأزياء في المجتمع، مما يجعلها عنصرا مهما ومساعدا في السرد، وتطرّق رولان بارت في كتابه "نظام الموضة" لهذا المفهوم إذ أن الموضة والأزياء لا تقتصران على الجماليات فقط بل تتعلقان بتوصيل المعاني الثقافية والاجتماعية من خلال اللباس خاصة أن الأزياء نظام معقد من العلامات والرموز التي تنقل المعنى والهوية من خلال الملابس والاكسسوارات، ومن هنا فنظام الموضة بالنسبة لبارت يمر في دورات متتابعة، يتم خلالها تكرار الأنماط وتطورها وإقصاء بعضها، وهذا ما دفع بارت لاعتبار الموضة سيميولوجيا خفيفة وهشة، وأن ما يخلق الرغبة في امتلاك القطعة الملبسية وارتدائها ليس قطعة الملابس في حد ذاتها، بل اسم الدار، أو الماركة، وليس الرغبة في الحصول على هذه الملابس، إنما المعنى الاجتماعي للحصول عليها. بالنسبة لبارت تعكس الموضة النظام الطبقي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي للعصر (Barthes,1967) ويقول ديزموند موريس عالم الأحياء المتخصص في السلوك البشري: "من المستحيل ارتداء الملابس دون نقل إشارات اجتماعية " (Morris.1967).

الأزياء في الرواية: كعلامات اجتماعية تحمل السمات الشخصية

تستخدم الأزياء في الأدب كرمز يعكس الطبقات الاجتماعية فمثلا في رواية "جاتسبي العظيم" لفيتزجيرالد تعكس الأزياء الأزياء بوضوح حقبة العشرينات المترفة. النساء ارتدين فساتين "الفلاير" وقصصن شعرهن بأسلوب قصير. الرجال ارتدوا البدل الأنيقة التي تعكس

أناقة تلك الفترة الزمنية مما يعكس موضوعات الرواية حول الثراء وتأثير النخبة على الموضة في حياة العشرينات والفروق بين الطبقات الاجتماعية ودور التقنيات الحديثة في تشكيل المعايير الثقافية (haziri-2020) وفي رواية البؤساء لفيكتور هوجو تعكس الأزياء بوضوح صراع الطبقات الاجتماعية والسياسية في فرنسا في القرن التاسع عشر تحديدا بين عامي 1815 و 1832. فملابس شخصية جان فالجان البسيطة في البداية ترمز لفقره بينما ملابس الشخصيات الارستقراطية تعكس الثراء والترف مما جعل الأزياء في الرواية تعكس بشكل واضح الفجوة بين الطبقات وهذا كان يمثل صراع الرواية الأساسي (VanBuskirk,2005)

وفي رواية "ذهب مع الريح" لمارغريت ميتشل، تُستخدم الأزياء كأداة لرسم ملامح الشخصيات وتحديد طبقاتهن الاجتماعية. فتلبس سكارليت أوهارا مثلا في بداية الرواية ملابس فاخرة تعكس رفاهية عائلتها الجنوبية ومع مرور الأحداث تتغير أزياؤها لتناسب التحديات التي تواجهها، مما يعكس تطور شخصيتها ومرونتها في مواجهة الصعاب، وتقدم (Khan,2018)تحليلا نسويا للرواية يسلط الضوء على قوة المرأة واستقلاليتها في الجنوب الأمريكي خلال الحرب الأهلية. وفي رواية "ألف شمس مشرقة " لخالد الحسيني تعكس الأزياء التحولات الاجتماعية والسياسية في أفغانستان عبر شخصيات الرواية (مريم و وليلى). إذ تبدو ملابس مريم تقليدية تعكس بيئتها المحافظة ومكانتها الاجتماعية المتدنية، بينما تعكس ملابس ليلى المتحررة خلفيتها المتحررة التي تعكس خلفيتها التعليمية. التغييرات في أزياء سياق الرواية تعكس الظروف القاسية التي تمر بها الشخصيات مثل البرقع الذي يعبر عن القمع المفروض على النساء(Shapiro.2010)

وتلعب الأزياء في قصص الأطفال المرسومة دورًا محوريًا في تجسيد الشخصيات والحقبة الزمنية التي تدور فيها الأحداث. فغالبًا ما يستوحي الرسامون تصاميم الأزياء من الأحداث والبيئة الزمنية للرواية الأصلية. على سبيل المثال، في قصص مثل سندريلا وسنو وايت، تعكس الأزياء البسيطة والمتقنة في آنٍ واحد شخصيات الأبطال، سواء كانت ملابس العمل التي تميز سندريلا قبل تحولها أو الفستان الملكي الذي ترتديه بعده. وتسهم الأزياء المرسومة في تعزيز الفهم البصري للشخصية وتقديم إشارات بصرية حول تطورها إذ أن دقة التفاصيل في الأزياء تلعب دورًا أساسيًا في تشكيل الهوية البصرية للشخصيات.

رو اية طوق الحمام-كمسرح للدراسة:

اختارت الباحثة رواية طوق الحمام كمسرح لهذه الدراسة، وهي رواية للكاتبة سعودية "رجاء عالم" نشرت عن طريق المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء عام 2010 وعدد صفحاتها 568. ورجاء عالم كاتبة سعودية ولدت في مكة المكرمة 1956و حصلت على جائزة البوكر العربية 2011، عرفت رجاء بأسلوبها السردي المميز، وتناولت في أعمالها قضايا المجتمع السعودي والثقافية المكية ، ، وتتميز أعمالها بالغوص في تفاصيل المجتمع من منظور ثقافي واجتماعي، وفي رواية طوق الحمام تخلق الكاتبة واقعا افتراضيا يمتزج فيه التاريخ بالحال الراهن بالخيال والفانتازيا، كما أن شخصيات الرواية مزيج بين أشخاص من لحم ودم وأخرين من انتاج الحلم، ويظهر من سياق الرواية أنها كتبت لتكون في نهايات الدولة العثمانية أو بدايات الدولة العودبة الأولى، والراوي الرئيسي في الرواية هو شارع (أبو الرووس) في حي من أحياء مكة القديمة حيث تدور الأحداث حول جثة امرأة وجدت في شارع أبو الرووس، وفي لغة مفعمة بالصور والمجاز و السرد البوليسي الميلودرامي وفي فضاء مكى حافظت فيه الكاتبة على هالة الأرض المقدسة أظهرت الكاتبة لوعة العشق التي تؤججها الحرقة على مكة مع أحلام شباب مجهضة في مقابل آخرين يشوهون عراقة (أم القرى) ويتاجرون بالمقدس (بن حميد،2021) وتتباين النواحي الاجتماعية والثقافية في الرواية سواء من حيث فضاءات الأمكنة ومواصفاتها أو ملابس الشخصيات ودلالاتها في مسار سردي يساعد على تطوير الحدث لإكمال العمل الروائي.

عبارات عن الأزياء في رو اية طوق الحمام كدلالات سيميائية:

" حين ظهرت امرأة كبطريق في أول الزقاق تخفق عباءتها عن ثوب عزائها الأبيض راحت وجالت حول الجثة: "خافوا ربكم استروا عورة القتيلة" ص 12

وصفت المرأة بالبطريق وهذا تشبيه لافت للنظر ربما يدل على كبر حجم المرأة أو كبر عمرها وتعثرها في مشيتها كالبطريق، وعبارة خافوا ربكم تدل على الاستنكار والمطالبة بالستر مما يعكس قيم المجتمع حتى في ظروف وجود قتيلة

"رفعت حليمة طرف شيلتها إلى أنفها" ص 15

جاءت "الشيلة" بهذا المصطلح ونظرا للزمن الذي تحكي عنه الرواية فقد تكون الشيلة وافدة إلى مكة من القبائل المجاورة، وقول أنها رفعتها إلى طرف أنفها فهو دلالة أنها الوجه لم يكن مغطى

" يجري ويخلع ثوبه الأبيض ليلقيه على عري فاطمة، باستحواذ مجنون، يغلفها ويجرجرها إلى البيت، يدفعها عبر باب الطريق للداخل وبالحركة نفسها يستخلص ثوبه بقرف ليلقيه بعيدا" ص 18

هذه الجملة تحمل دلالات سيميائية قوية، خلع الثوب الأبيض ووضعه على عري فاطمة يرمز إلى محاولة التستر والحماية رغم أن تخلصه من الثوب حين دخل بقرف إلى الرفض والاشمئزاز من الموقف

" لو كانت الأرض لفة قماش، فكم مترا يحتاج الواحد منا ليكتسي ويتدفأ ويلف معه طفل أو طفلين وعزة، أعرف حجم الكفن، نسيج القطن الأبيض الذي بطول ثمانية لعشرة أمتار." ص 22

هنا تجريد عميق حيث شبهت الأرض بالقماش مما يوحي بأننا جميعا متساوون في حاجتنا للدفء والستر مهما اختلفت ظروفنا تماما كالأطفال، والطول المذكور يشير إلى الاحتواء والحنان والتركيز على الكفن القطني الأبيض يرمز للنقاء مما يشي بالرغبة في الأمان والسلام والعودة كالأطفال أثناء الموت واللف بالكفن.

"أسعى لكتابة ببساطة الثوب الذي أذكرك أول بلوغك ترتدينه: أسود مشقوق على الصدر والمرفقين"ص22

من العبارة يشبه وصف الثوب: أسود مشقوق على الصدر والمرفقين بالمقطع أو الثوب في أبسط صوره وهو الثوب الذي ترتديه المرأة في جميع مناطق المملكة، ولأنه أسود ومشقوق فهو يرمز للبساطة والفقر، كما أن الثوب المشقوق يعكس التحديات بينما الكتابة كانت الأداة لترميم هذه التصدعات.

"كيف أعرف حرارة الماء التي يغسل فيها الثوب كي لا يتخشب؟ شعرت بالفوقية تجاه تلك المطلقة، إذ لا تحلم غترة بتطليقي، كي ثياب الرجال لعبتي، خريجة ستة إخوة ثيابهم صقيلة كالورق وغترهم ميازيب لا تتكسر بسجود"ص45

الثوب الخفيف الذي لا يتخشب يعكس الشعور بالحرية أو الخفة ومعرفتها لدرجة الحرارة المطلوبة يدل على التحكم والسيطرة، كي الثياب لعبتي دلالة على بعض الملامح في المجتمع فإن كانت تجيد غسل الثياب وكيها فهي قد نجحت في تخطي معايير المجتمع فكيف إن كانوا ستة إخوة فخورة جدا بكيها لثيابهم وغترهم، هنا دلالة اجتماعية حيث أن كي الثياب والغتر من "تخصصات" المرأة وكلما أجادت الكي فيصبح الثوب كورقة والغترة لها ميزاب لا يتكسر حتى بالسجود فإن ذلك مدعاة لفخرها بنفسها، وتظهر العبارة معايير لبس الرجل المكي: ثوب مكوب جيدا حتى يصبح كالورقة وغتر ميازيبها مكوية باحتراف وبكثير من نشا حتى أنها لا تتكسر بالسجود

" وحين لا يسمح لنا بالخروج فلابد من طمس وجوهنا بالأسود، طاقية إخفاء تحيلنا للاوجود" ص 46

تشير العبارة إلى الشعور بالإقصاء والتهميش وكأنه نوع من الاحتجاج الصامت: الخروج ممنوع والغطاء الأسود يلغي الهوية كطاقية الاخفاء وهذا يدل على مشاعر النساء وطريقة النظر إليهن في تلك الفترة.

" التحدي الذي نواجهه هو كيف ننجح في أن نكون المرأة السوبر، نصفها نسخة عن جداتنا البدويات اللواتي لا يرفعن برقعهن حتى حين يأكلن مع أزواجهن، ونصفها الآخر نسخة من كل مغنيات وراقصات الفيديو كليب"45

كانت الرواية تحكي عن فترة منتصف السبعينات وحتى منتصف الثمانينات في الدولة السعودية، ورغم أن الروائية لم تتطرق إلى أي فترة زمنية ولكن أمكن استنتاج ذلك من سياق الأحداث وتفاصيل البيئة إذ أنها الفترة التي شهدت طفرة نفطية وتغييرات اجتماعية كبيرة، وتعكس العبارة الصراع خلال التحولات في المجتمع المكي بشكل خاص والسعودي بشكل عام خلال القرن العشرين مما يبرر هذه الصورتين المتطرفة ما بين الستر والالتزام وبين النقيض.

"" سير ، أنت في serious؟ أنت في سبب تلبس كذا ملابس كشخة؟" ومرت عين الباكستاني على ثوب خليل الحرير المشغول، والغترة الناصعة من تصميم لومار، متوجة بالعقال الأسود الفاخر، يكسوه المشلح الرمادي المطرز بخيوط القصب، توقفت عين الباكستاني على الحذاء الأسود زيماس الملمع بواجهته المدببة"ص 57

يظهر وصف الملابس الاختلاف الطبقي بين باكستاني يصنف من العمالة ويظهره أسلوب كلامه في البداية مع أحدهم من المجتمع المحلي من الطبقة العالية، حيث أن الإشارة إلى ماركتين" لومار لثياب الرجال وزيماس للأحذية" يعطي علامة واضحة عن ماهية الشاب وكيف يبدو مجتمعه وهنا سرد للأزياء الرجالية التي وردت في المقطع: ثوب حرير مشغول-غترة ناصعة من تصميم لومار-عقال أسود فاخر-مشلح رمادي مطرز بالقصب-حذاء أسود مدبب من زيماس، وفي مجتمع مكة وجدة تعطي هذه الملابس صورة للرجل الذي يرتديها أنه من طبقة رفيعة في المجتمع.

" الضحية التالية كانت امرأة برفقة ولدها المراهق، خيمة سواد في عباءتها المسدلة من الرأس للقدم ، تنتهي بجوارب فاحمة للركبتين"ص 57

استخدام عبارات مثل خيمة سوداء، عباءة مسدلة، من الرأس للقدم، جوارب فاحمة، للركبتين، وأخيرا "الضحية" ،حيث كان هذا اللباس يرمز لحالة الانغلاق والاختفاء والظلم ثم إنها" برفقة ولدها المراهق" إمعان في التهميش والخضوع خاصة مع العبارة التي كانت في بداية الجملة والتي تؤكد أن هذه المرأة بهذه الصورة إنما هي ضحية تسعى للاختفاء. مما يشير إلى وضع المرأة الاجتماعي في الثمانينات في مكة.

" الضحية الثالثة كانت رجلا في الستينات، متماسك البنية في ثوب وسديري وطاقية ناصعة البياض، ويلقي على كتفه اليسرى بمصنف من اللاس الأصفر"ص 58

تشير هذه العبارة إلى عدد من أجزاء المكية الرجالية: ثوب-سديري-طاقية(بدون غترة)-مصنف من اللاس الأصفرعلى الكتف الأيسر، وهذا يلخص ملابس الرجل السيني في تلك الفترة في مكة إذ أنها تنم عن أناقة الرجل البسيطة والغير متكلفة والتي لا تشترط ارتداء الغترة، ورغم

أن الملابس توحي بالقوة والمكانة إلى أن استهلال الجملة جاء ب" الضحية" هذا التناقض يضيف عمقا للشخصية ويشير إلى أن المظاهر قد تكون خادعة، كما يمكن أن يكون قد تم استخدامه لغرض روائي في السياق.

" وأحيانا يتنكر هذا الولد مثلك في الزي الحجازي التقليدي! في صندوق سيارتي كل أصناف الأزياء التنكرية"ص59

عبارة "يتنكر" مع إضافة الزي الحجازي لباقي الأزياء التنكرية في صندوق السيارة بشير إلى عمق الصراع بين الحداثة والأصالة حتى صار يعد من يرتدي"الزي الحجازي التقليدي" متنكرا

" مثل ذاكرة جمعية تتصلب بكوافيهم المصندقة وسديرياتهم الحائلة"ص78

يحكي هذا المقطع عن عدد من الرجال الشيوخ في جبال مكة وهم ينتظرون أوقات الصلاة للذهاب للحرم والذي كان يميزهم هو كوافيهم" المصندقة" المنشّاة و التي تشبه الصناديق الصغيرة على رؤوسهم مع ارتداء السديري الذي قد يكون أبيضا أو فارقه بياضه وهذا أحد مظاهر ملابس الرجال في مكة

"حبشي كامل الصب محبوك الاستدارة، مظلة ثوبه الأبيض تنحدر من على كرشه لتصل إلى منتصف ساقه الغليظة وتظلل القدمين الخشنتين في الشبشب الزنوبة الأزرق، تتعلق غترته البيضاء من مسمار وهمي بمنتصف كوفيته ساقطة كشلال بين كتفيه"ص124

رغم أن الملابس عبارة عن ثوب أبيض وغترة كالآخرين تماما إلا أن الكرش المتدلية والقدم الخشنة والزنوبة الأزرق والغترة بلا عقال والساقطة كشلال تعطي انطباعا عن البعد الاجتماعي لهذا الشخص ومكانته وخاصة إذا قرأنا بداية الجملة "حبشي كامل الصب" وهذا يعكس بعض التعقيدات الاجتماعية في مجتمع مكة

" ووجوه التجار الهنود بالجبب السود على الثياب البيض يساومون الضباط الأتراك بالأحزمة والسيوف المرصعة، وإبل الهجانة ملبسة بالأوشحة المطرزة بالفضة والابتسامات الملمومة لأطفال الأشراف-من نسل النبي عليه السلام-في جببهم القصيرة تظهر من تحتها الأحذية عالية الرقبة محزمين بالذهب والفضة، معممين بالكوافي كالطرابيش التركية مرصعة بتنجيم اللؤلؤ. أو أطفال الوالي والأعيان الأكثر جدية في المشالح المحزمة بسيور الرصاص والخناجر المرصعة بالجواهر القديمة. أو أطفال بني شيبة سدنة الكعبة، بمسحة الجلال في الثياب المقصبة والجبب المورقة والعقل المذهبة" ص 153

العبارة ترسم مشهدا بصريا غنيا بالتفاصيل قسم كالتالي: 1- التجار الهنود ويرتدون الجبة السوداء تحتها الثوب الأبيض وأحزمة وسيوف مرصعة 2-إبل الهجانة وعليها أوشحة مطرزة بالفضة 3-الأطفال الأشراف يرتدون جبب قصيرة تحتها أحذية عالية الرقبة وأحزمة من الذهب والفضة والكوافي التي تشبه الطرابيش التركية مرصعة باللؤلؤ 4- أطفال الوالي والأعيان يرتدون المشالح المحزمة بسيور الرصاص والخناجر المصعة بالجواهر القديمة5- أطفال بني شيبة يرتدون الثياب المقصبة والجبب المرقة والعقل المذهبة

بسبب كل هذه الاختلافات يظهر أن الملبس في مكة كان يستخدم في معرفة الطبقات الاجتماعية وكذلك للتفريق بين المهن فالتجار يختلفون عن الهجانة وعن سدنة الكعبة، وملابس أطفال الأشراف تختلف عن أطفال الوالي والأعيان وأطفال بني شيبة، وهذا يظهر التنوع في المجتمع المكي من حيث الأدوار الاجتماعية وكذلك من حيث الأصول مثل الفرق في الملابس بين التاجر الهندي والضابط التركي والسدنة من أهل مكة

" والنسوة المتكئات في البساتين يدخن الشيشة، أو يعبرن الشوارع على عجل في الأوشحة السادرة المقلمة بالقصائب مبرقعات بالأبيض المخرم بجنيهات الذهب عند العينين. والعرائس المكيات تحت أشواط عقود اللؤلؤ، والدراويش من بخارى بثيابهم القصيرة بأحزمتهم العريضة والقبعات المخروطية المحوطة بالفراء في قيظ مكة"ص 158

هذه العبارة تعرض بعض المظاهر الاجتماعية وكيف يكون الملبس فيها فالنساء الذين يرتدون أوشحة طويلة مقصبة والبرقع الأبيض الحجازي المزين بالجنيهات الذهب يكن إما في البساتين يخن الشيشة أو يعبرن الشوارع على عجل، وفي مناسبة اجتماعية أخرى كالزفاف يرتين أشواط عقود اللؤلؤ، بينما تؤكد العبارة الثانية على تنوع أهل مكة: البخارية اللذين يرتدون ثيابا قصيرة وأحزمة عريضة وقبعات مزينة بالفراء رغم أن مكة حر

"ومع الربيع اكتسحتنا فوضى القباقيب الخشبية: تلك المطهّمة بالأصداف وباللؤلؤ أو الملبّسة بالأقمشة الهندية المقصّبة وتلك التي من خشب الصندل عطرة، تلبسها سيدات مكة في الحمامات والأسطح" ص 159

وفي هذه العبارة تكون القباقيب الخشبية والتي تستخدم في محل الحذاء مصنوعة من الخشب ومطعمة بالأصداف واللؤلؤ وأنواع ثمينة من الخشب والأقمشة الهندية بل إنها معطرة مما يضفي طابعا حسيا يعبر عن الفخامة والرفاهية، وتلبسها سيدات مكة حين تذهب للحمامات أو بعض الاجتماعات في الأسطح مما يدل أنه تقليد تركي أو عثماني، هذه التفاصيل تشكل رموزا ثقافية تعكس مكانة المرأة المكية ودورها في المجتمع.

" ثوب الموالد المطرز يتعلق فاترا بدهن يقول إنه طاب بمجاورة قطعة من ثوب الكعبة" ص 165

وهذا المقطع يتحدث عن بعض طقوس الموالد ومن الذي كان يحضرها من المكيين والأغوات وسط عدد كبير من القادمين للحرم ووسط لفيف من الأشعار المكتوبة في الرواية عن الرسول جاور ذلك ذكر بردة النبي وما فيها من بركة، الثوب هنا ذكر مجاورا للكعبة مما يضيف عليه بعدا روحانيا يوحي بالقدسية. وهكذا يصبح لقطع الملابس هنا معنى آخر يحمّل من قدسية المكان.

" أقشع العزل وأمسح سواد القنع وأردم خيام الجامات، وتحت بقع النسيان في اللفات الكئيبة من كرت وسراويل وفوط جاوية --- على يدي كانت أول عروس تخلع الشرعة الحجازية، لولاي لبقي أبو الرووس في قرنه الحادي عشر، بالعرائس يختنقن تحت وسادات الثياب التقليدية المثقلة بعقود الفاكهة والهيل المغرق في الفضة، شرعة غليظة بمغالق لا تنافس هذا العصر الخفيف"ص 196

هذه العبارة قالتها المرأة التركية القادمة من تركيا للعمل كخيّاطة في مكة، وهي شديدة الدلالة على الصراع الذي كان متواجدا يسن القديم بكل أصالته والحديث الذي أخذ يغزو المجتمع في تلك المرحلة الانتقالية، وقد كانت تلك المرأة تأمل في إنهاء تواجد الكثير من القطع الملبسية المعروفة بأسمائها التقليدية في مكة سواء من الأردية الخارجية: كالقُنَع، والجامات ، أو من ملابس البيت مثل: الكُرت والسراويل والفُوَط الجاوي أو من ملابس المناسبات مثل : الشُرعة الحجازية ووسادات عقود الفاكهة والهيل المغرق في الفضة ، أو ب"شرعة" يعني بلبس زفاف مغالقه غليظة بعكس ملابس العصر الحالي التي تدل على التخفف والحرية، هذه المقابلة بين الجانبين تعكس التحولات الاجتماعية التي كانت في مكة.

" انتقت معي لعرسها ذلك الطراز، الذي جيد لها كل ما قرأته في البلاطات الفرنسية والروسية، بالوردتين المعلقتين على الكتفين، وقفازي التفتا الواصلين للمرفقين بالدانتيل، والصدر المطرز باللؤلؤ---- ثم بدأت فخلعت عنها ثوبها الرمادي المقفول المصمت: تعمدت أن أحفر في وعيها أني أقشرها، أني أشق عنها شرنقتها /قباحتها/قفلها وأحولها إلى خوخة مشقوقة. ص 170

هذه العبارة ترمز إلى تحول عميق، يشمل خلع الثوب الرمادي المقفول والمصمت والذي يرمز إلى القيود والقبح الظاهري . حيث تم "تقشير" الخوخة-والتي رمزت للمرأة- وتحويلها إلى خوخة مشقوقة وفي هذه الصورة دلالات عدة فبعد أن كانت المرأة متوارية خلف عدد من الحجب جاء هذا الانتقال السريع إلى المدنية فأزال عن الخوخ غطائه وكشف ما كان مخفيا تحت السطح، مما يشي بأنها صورة ترمز للتحرر من القيود التقليدية، ولعل المقابلة الصريحة بين ما "الشرعة" التقليدي التي ذكرت مسبقا وأزياء البلاطات الفرنسية والروسية (وردتين على الكتفين-قفازي تفتا دانتيل-صدر مطرز باللؤلؤ) لهي تعبير صريح عن الانفتاح على التأثير الغربي والذي سبب تغييرا اجتماعي وثقافي دراماتيكي خلال السبعينات.

"اضطربت البنت وأنا أحمل كل تلك الكشاكش والحراشف والطلقات وأسكبها بكل حفيفها وشراستها كنفق بلا مخرج وأسدلها بخفة غيمة على جسدها المرتعش بأول نفحة حياة..حرصت على احتكاك الدانتيل بحسية توقظ ثديها الذي كان في طور التبرعم ، تركت التفتا تلعق ساقها، والجيبون بطبقات القطن والشرك المغرق في النشا يقرص مؤخرتها وحرير فخذيها ..بالستر والكشف والفراغ والحشد كنت أصوب الرغبة حين تنحط عليها وأعيد سبك قالبها"ص 171

هذه العبارة تبرز تفاعل الأزياء مع الحالة النفسية للشخصية؛ حيث تعكس الكشاكش والحرائر تنوع الطبقات الاجتماعية والنفسية التي تمر بها. الأنسجة الرقيقة في النص ترمز إلى هشاشة الحالة الداخلية، في حين أن الطلقات تشير إلى التحولات المفاجئة أو الصدمات. تُظهر العبارة كيف يمكن للأزياء أن تكون وسيلة للتعبير عن الهوية الداخلية والمشاعر المكبوتة.

ومن الناحية الاجتماعية، نرى التأثير الثقافي الذي بدأ في ذلك الوقت في مكة من خلال الأزياء. حيث أن التحول في لبس العروس من الشرعة إلى فستان أوروبي يعكس التحول الثقافي والاجتماعي وبداية تأثره ويظهر ماهو في الثقافات الأخرى كالغربية بمظهر أكثر حداثة وتطورا وجمالا.

هتف المعلم المسكين: أين الفصوص؟ أين اللمعة؟ سألته: نريد حبات كرستال؟ نرصعه؟ ارتفع جشعه: حبات فقط؟ وبرر لي أو كان يتمظهر: "تعرفين يا أختي التركية، العريس أحمد ابن التزاح مرافق شخصيات ذات وزن، دفع أكبر مهر في الزقاق، ونريد أن نكون في المستوى" أعطانا تعليمات وخرج . ترك عائشة موحشة، جردها بتعليماته من قفازاتها، ركب لثوبها صدرا وكتفين وكمين قادرة على حمل الكريستال الذي كيف بوقاحته نجوم حظها"ص 172

يتضح من التحليل أن النص يستخدم العناصر المادية للأزياء والإكسسوارات كوسيلة لنقل رسائل اجتماعية معقدة تتعلق بالهوية والانتماء والحداثة. تبرز الرمزية في استخدام الكريستال والفصوص واللمعة ليس فقط كوسائل تجميلية وإنما أيضاً كأدوات تعكس رغبة في الانتماء إلى فئة راقية وتغيير الهوية التقليدية إلى هوية معاصرة، كما ظهر في النص هذه المقابلة بين جردها من قفازاتها وركب لثوبها صدرا وكتفين وكمين، وربط الكريستال في ثوبها بنجوم حظها مما يفتح المجال للتأويل من منظور اجتماعي وثقافي يتجاوز البعد البسيط للأزياء إلى عمق العلاقات والقيم المجتمعية.

"مسكينة البنت هجرها عريسها بعد شهرين. وحملني الزقاق وزر ذلك الزواج عن بعد، وإثم موت أهلها من التصادم..وصموا ثوب العرس بالنحس!!كلما وقع بلاء بشرقكم الأوسط علقوا ذنوبي على رقبتي، أنا وآل عثمان. حين غطينا نسائكم بالجامة والقنعة صحتم: ابتليتمونا

بالطاعون الأسود. وحين نكشفهن تصيحون: ابتليتمونا بالحسد! على الأقل نحن تركنا للجامة ثقوبا على الوجه..وجاء طوفان صحرائكم فلحم الثقوب"ص 172

يقدم النص نقدًا لاذعًا للتقاليد والظروف الاجتماعية التي تُجهد نساء المجتمع وتحول علامات الاحتفال إلى رموز للعقاب واللعنة. في إطار التحليل السيميائي، تُصبح الرموز (كالزواج الفاشل، والجامة، والذنب المُعلق) أدوات لفحص البُنى الاجتماعية التي تُعيد تدوير مفاهيم اللوم والمصير، ما يُظهر كيف يتداخل الجانب الشخصي بالنظرة الجماعية في صناعة الهوية والثقافة، فثوب العرس وهو مجرد ثوب وصف بالطالع السيء أو سوء الحظ وتحمّل وزر الزواج الفاشل، ثم كانت المقابلة بين الغطاء بالجامة والقنعة الذي جلب لهم الطاعون الأسود ثم الكشف الذي ابتلاهم بالحسد ، سليه ذكر المقارنة بين الجامة ذات الثقوب على الوجه ثم غطاء الوجه القادم من الصحراء كالطوفان ولحم هذه الثقوب، هذه العبارات تحمل نقدا ثقافيا للممارسات الاجتماعية وتصور الصراع الذي رزح تحته المجتمع من أجل تشكيل هويته الثقافية.

"اندفع ناصر ليقع في أجساد نساء مقطعة الأوصال، أجساد متخشبة مضى على موتها دهرولا تزال ترفل في ثياب سهرة من الدانتيل والتل والساتان، مطرزة بالخرز وحبات الكريستال ومسيرة بأحزمة المخمل وسجف الحرير. أي مسعور ابتكر تلك المجزرة"ص196

في هذا المشهد، نُواجه لحظة صدمة حسّية وبصرية يمر بها ناصر حين يرى لأول مرة المانيكانات المعروضة بملابس السهرة الفاخرة.إذ يرجح أن المانيكات كوسائل عرض للملابس دخلت للمملكة في تلك الحقبة، تجربة ناصر كانت مشحونة بالدلالات السيميائية، إذ تتقاطع فيها رموز الجسد، والموت، والزينة، والغربة عن السياق الثقافي،.يبدأ النص باندفاع ناصر نحو ما يعتقد أنها أجساد نساء مقطعة الأوصال، وهو وصف يعكس عدم معرفته المسبقة بالمانيكانات، مما يجعل التجربة أشبه بكابوس حي.هذه الصدمة البصرية تمثل انكشافه على ثقافة جديدة في تمثيل الجسد، بعيدة تمامًا عن بيئته السابقة، حيث لم يكن مألوفًا رؤية "نساء" ثابتات، متخشبات، في كامل زينتهن، دون حياة. والأزياء هنا فاخرة: دانتيل، تل، ساتان، خرز، كريستال، أحزمة مخمل، وسجف حرير... كل هذا الترف يترافق مع وصف الجسد بأنه "مقطّع" و"متخشب" و"مضى على موته دهر."

هذا التناقض الساخر بين الجمال الظاهري والموت، يُجسّد رمزية عميقة: كيف يمكن للزينة أن تخدع الحواس؟ وكيف يمكن للجمال أن يكون في ذاته صادماً إذا ما فُصل عن الحياة والروح؟ فتتحول الأزياء من رمز احتفال إلى قناع للموت، مما يخلق حالة من المفارقة الحادة. ثم يأتي سؤال الرعب الجمالي: "أي مسعور ابتكر تلك المجزرة المتأهبة للخروج في سهرة؟" يكشف هذا السؤال عن غرابة التجربة على وعيه. فالمانيكانات ليست بالنسبة له مجرد أدوات عرض، بل كيانات مشوهة تتنكر في هيئة نساء. هنا يتحول الجمال الصناعي إلى وحشية كامنة، ويطرح النص نقداً ضمنياً للموضة المعروضة بلا روح. ثم تأتي لحظة التفسير والاكتشاف حين "اعتادت حواسه تلك الصدمة"، يفهم ناصر أخيرًا أنه محاط بـ"جيش من دمى الفلين بالحجم البشري."

هذا التحول من الصدمة إلى الفهم يمثل نقطة مفصلية في وعي ناصر، حيث ينتقل من القراءة العاطفية للأجساد إلى الوعي بثقافة الاستعراض، وهنا يبدأ إدراكه لاختلاف المدينة الحديثة عن ما عرفه سابقاً.هذا المشهد ليس مجرد لحظة غرابة، بل هو مفصل سيميائي يعكس صدام الثقافات: من البساطة الواقعية إلى التمثيل الصناعي، من الحياة الطبيعية إلى الأنوثة المصنّعة.

"ا اندس بثوبه القديم متجنبا ثوب العرس بياقته المقواة بالنشاء والمزبرة بخيوط قصب، كانت تركية القبو قد خاطته له مقلدة طرز جبب مقصبة ورثها جدها عن الولاة العثمانيين"ص249

يظهر النص من خلال الزي بعض الملابس التقليدية الرجالية للأعراس التي سادت في تلك الفترة :ثوب بياقة منشّاة مزبّر بخيوط القصب ويعود للعثمانيين، ويظهر النص رسالة معقدة للشخصية تجمع بين نقد التكلف ورفض المظاهر الزائفة، وبين الحفاظ على الإرث الثقافي والتاريخي. فإن ارتداء الثوب القديم يشير إلى تمسكه بعناصر هويته الأصيلة، في مواجهة ضغوط التجديد والحداثة التي تسعى لإضفاء طابع خارجي مبهر، غير متجذر في التاريخ والعمق الثقافي.

"تطرز بنات القبيلة ثيابهن منذ الطفولة ليعرسن فيها ولا يخلعنها حتى الممات، ثياب تكنز كل لحظات العشق والموت التي مررن بها"ص 270

يعكس النص رؤية عميقة تربط بين الجسد والروح عبر رمز الثوب المطرز. فالزي التقليدي هنا لا يُعتبر مجرد لباس للمناسبات، بل هو سجلّ حيّ لتجربة الأنثى في قبيلة متجذرة في التراث. يُخزن الثوب فيه تفاصيل العشق والوداع، ويعيد إنتاج قصة حياة متكاملة تأخذنا في رحلة بين نور الحب وظلام الموت. بهذا يصبح التطريز والعناية بالثوب بمثابة وسيلة للتواصل مع الماضي وتثبيت الهوية في وجه تقلبات الزمن.

"قام بنش في خزانة ثيابه لا عن شيء بعينه وإنما على دليل انتماء، ...نبش عن كل الأشياء الصغيرة التي كان يحملها منذ طفولته، عن ذلك الحزام الجلد المطهم بالرصاص وبطرفه جراب خنجر،.....حين نظر في خزانة ثيابه لم يكن من أثر لناصر الذي كان مثل أبيه يخطف الكحل من العين، فقط تلك البذلات الرسمية، ستة سبعة ثمانية عشرة أطقم، بعدد سنوات خدمته، طقمان للعام الواحد....الآن صار لابد من اعتبار هذه الكرش الصغيرة الآخذة بالامتلاء، صارت الأكتاف تتعدل على كتفيه، لكأنها لا تخصه..أنفق على التنظيف الجاف لتلك الأزياء الرسمية مالم ينفقه على جسده هذا ..هذه الثياب هي السيد في تلك الحجرة ، وهو عبدها"ص 322

يمثل النص تأملاً في العلاقة بين الإنسان والتراث الذي يحمله جسديًا عبر ملابسه. الثياب لم تعد مجرد وسيلة للتغطية بل تحولت إلى مرآة تُظهر مسار حياة ناصر: من ذكريات الطفولة ورمز الانتماء، مرورًا بسنوات الخدمة، وصولاً إلى حالة النضج التي تقيد الإنسان بصورته السابقة. في هذا السياق، يخوض النص نقاشًا حول كيف يمكن أن يتحول رمز الانتماء إلى عبء ثقيل، بحيث تسيطر الذكريات والرموز على هوية الشخص حتى تصبح هو العبد لتلك الأشياء

"حين سمعت ناز ك التركية تنبعث من شبكة الأزقة والفقر، في معطفها الكحلي المطرز على الكمين، تلف رأسها بوشاح أبيض ولا تحجب الوجه كنسوة الزقاق.....حين تعبر نازك صباح كل جمعة تبدأ بنات الزقاق بالتواري في الدهاليز، وتستر المراهقات أصابعهن عميقا في أكمام العباءات، "نازك تخطف البنات من إصبع" تلك الإشاعة جاءت من عينها الجاحظة والتي تحوم كصقر على أيدي البنات، تتفحصها تختار الأنامل الأرق والأطول، وتقايض الأهل على تشغيل بناتهم، لتطرز حبكاتها على الثياب.

بمخالب طويلة قبضت على يد البنت اليمنى ، وراحت تتفحص أصابعها" هذه أنامل حلوى لاقوم تركي أصيل، لو أرسلتها لي لدربتها على الحبكات والقصات والتفصيل والتلبيس والتدبيس ..ولأطعمتك من أصابعها الشهد والعنبر"ص 463

نفذت تلك العبارة بعنبرها إلى نخاع أبيها، الذي سارع صباح السبت بفك الحصار عن البنت وأرسلها لمشغل نازك

يعرض النص صورة مركبة لعلامة اجتماعية وثقافية تنبثق من أزقة الفقر كما يمثل المشهد لقاءً بين الفن والشعب، حيث تتحول نازك التركية إلى شخصية محورية تُعيد تأطير الهوية النسائية في الفضاء الشعبي، مستخدمةً أسلوبها الفني لانتقاء وتشكيل مستقبل الفتيات من خلال رموز بسيطة كالأصابع التي تحمل في طياتها إمكانيات جمالية فريدة. بهذا يُظهر النص صراعًا بين الطابع التقليدي والذي يتمثل في العباءة السوداء اللاتي يرتدينها فتيات الزقاق والحداثة التي تتمثل في اختيار نازك للفتيات للعلمعها في ظل نظام اجتماعي يعيد التفاوض على مفاهيم الجمال والملكية والسلطة في الفضاء الحضري

29- " قادتها لصف ماكينات الخياطة المواجهة للجدار كتلامذة في وقفة قصاص، بنت واحدة ممتلئة كانت منهمكة في الخياطة، كل ذراع بحجم رضيع، تدوّر بثأر عجلة الماكينة (سنجر) وتكاد نخلعها. أسلمتها نازك الطارة على هيئة قلب وتحبس بين إطارها المزدوج قماشة من القطن الأبيض، وقالت: "أعلمك غرزة المنفوش، والتي تتقبب منها وردة البنت، تلك الوردة التي ما طفت على ثوب إلا بعثت فيه الحياة"ص464

يستعرض النص مشهدا يجمع بين ماكينة الخياطة والمتعلمات من الفتيات والشابات التي انتقتهن التركية نازك إذ أن مكة حديثة عهد بماكينة الخياطة، وليشكِّل المشهد لوحة متكاملة تُبرز العلاقة بين المعلمة نازك والمتعلمة، حيث تنتقل الخبرة الفنية والوصايا الإبداعية عبر رموز الخياطة. فالصف المُعد من الماكينات يصبح ساحة للتعلم، والبنت التي تُمارس الخياطة برغم براءتها تتربع على عرش التجربة الفنية. وفي هذا السياق، تُعبر غرزة المنفوش عن قدرة الفن على إحياء الثياب؛ إذ تتحول الأقمشة البيضاء إلى لوحة حياة تحمل في طياتها جمالًا ورقةً، وتُعيد إلى الثوب نبضه وروحه.

الأزياء التي تم استخلاصها من الرو اية:

تنوعت الأزياء ودلالاتها التي تم استخلاصها من الرواية كالتالي:

جدول (1) الأزياء التقليدية التي وردت في الرو اية في منطقة مكة المكرمة

مسمى الزي	وصف الزي	الجنس	تعليق
ثوب العزا	لونه أبيض	امرأة	
ثوب نسائي	أسود مشقوق على الصدروالمرفقين	الفتاة عند البلوغ	يشبه المقطع أو الكرتة أو الدراعة وهو الثوب البسيط الذي ترتديه المرأة في كافة مناطق المملكة
ثوب أبيض مصقول وغترة بميزاب	ثوب رجالي	رجل	الثوب الرئيسي للرجال في المنطقة
العباءة السوداء	طاقية إخفاء تحيلنا للاوجود	امرأة	ويرتديها النساء من عامة الشعب
البرقع	يغطي الوجه للبدويات	امرأة	من عادات المرأة البدوية ارتداء البرقع حتى وهي تأكل
ثوب وغترة وعقال ومشلح مطرز بخيوط القصب وحذاء أسود	زي فاخروقصب ومنشّاة	رجل	ملابس الرجل في المناسبات وللطبقة العالية
عباءة سوداء مسدلة وجوارب	عباءة فوق الرأس للقدم والجوارب سوداء للركبتين	امرأة	جاءت في الرو اية في سياق الضحية

مسمى الزي	وصف الزي	الجنس	تعليق
ثوب وسديري	ثوب وسديري وطاقية بيضاء ومصنف على الكتف الأيسر من اللاس الأصفر	رجل	زي مكي لرجل في الستينات
الكوافي المصندقة	غطاء للرأس من قماش قاسي	رجل	هي ملابس رجال وشيوخ وأغوات الحرم
الجبب السود على الثياب البيض	ثوب أبيض فوقه جبة سوداء وحزام وسيف مرصع	التجار الهنود	دلالة أن كثير من الملابس التقليدية في الحجاز متأثرة بالثقافة الهندية
أوشحة مطرزة بالفضة		الإبل	الإبل كانت مر افقة للناس وتلبس مما يلبسون
جبة وحذاء وحزام	جبة قصيرة وحذاء عالي الرقبة وحزام من الذهب والفضة وكواف مرصعة بالؤلؤ	أطفال الأشراف	يظهر تأثير الأتراك
المشالح	مشالح محزمة بسيور الرصاص والخناجر المرصعة بالجواهر	أطفال الوالي والأعيان	يظهر في الزي بعض الجدية
ثياب مقصبة	ثياب مقصبو وجبب مورقة وعقل مذهبة	أطفال بني شيبة سدنة الكعبة	ولخصوصيتهم كان لهم زي خاص
زي نسائي وبرقع	أوشحة مقلمة بالقصائب وبرقع أبيض مخرم بجنبهات الذهب عند العينين	سيدات مكة	يجلسن في البساتين ويدخن الشيشة فيظهر أنهن من علية القوم
قباقب وصنادل خشبية	مطعمة بالصدف واللؤلؤ وملبسة بالأقمشة الهندية المقصبة ومصنوعة من خشب الصندل المعطر	سيدات مكة	يذهبن بها للحمامات والأسطح مما يظهر أنهن من علية القوم
ثوب الموالد	مدهن بعود لأنه مجاور لقطعة من ثوب الكعبة	لبس بعض المكيين والأغوات	عليه مسحة قداسة
القنعة والجامة – الكُرت والسراويل	ملابس تغطية خارجية سوداء وملابس داخلية بيضاء	نساء مكة	بعض قطع الزي التقليدي في مكة
الشرعة الحجازية وعقود الفاكهة والهيل المغرق في الفضة	زي ثقيل ومن عدة طبقات	العروس المكية	زي العروس التقليدي
ثوب العرس الرجالي	ثوب بياقة مقواة بالنشاء ومزبرة بالقصب	العريس المكي	زي العريس التقليدي

النتائج:

أظهرت الدراسة أن الأزياء في رواية طوق الحمام ليست مجرد زينة سردية بل تُعتبر بمثابة رمز يعكس التباينات الطبقية والتنوع الثقافي داخل المجتمع. ومن أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة ما يلي:

- الدلالة الرمزية للأزياء:

يتضح أن العناصر المتعلقة بالملبس تعمل على إضفاء طبقات معنوية على الشخصيات، حيث يرتبط نوع اللباس ومظهره بمستوى الشخصية الاجتماعية ووضعها الثقافي وهذه النتيجة تتعلق بالهدف الأول والذي يعنى بتحليل واستباط الدلالات الثقافية والاجتماعية في رواية طوق الحمام. كما يتجلى استخدام الألوان والتصاميم كوسيلة للتعبير عن صفات داخلية للشخصيات، مما يعزز من عملية بناء الهوية الأدبية. وتظهر الدلالة الرمزية للأزياء عند المقارنة بين أزياء النساء والرجال حيث أنه في المجتمع النسائي كثر في الرواية التأكيد على العباءة السوداء في

المجتمع الخارجي بينما تتعدد أشكال الملابس الخارجية الرجالية التنوع الذي لا نراه في الأزياء النسائية، ولعل في هذا دلالة على دور كل منهما ومكانته في سياقه الثقافي والاجتماعي.

- الأزياء وبناء الهوية:

تشكل الأزياء عاملاً أساسيًا في تحديد هوية الشخصيات وهذا ما يرتبط بالهدف الثاني والذي يركز على تحديد دور الأزياء في تشكيل هوية الشخصيات وعلاقتها بالسياق المكي (الزماني والمكاني)، إذ يُستخدم اللباس كوسيلة للتفريق بين الشخصيات من حيث الانتماء الاجتماعي والثقافي، وهذا ما يساهم في تصوير الصراعات الداخلية والخارجية داخل النص. وتظهر الدراسة كيف أن تغيير نمط اللباس يشير إلى تحولات داخلية في النفس والشخصية تتزامن مع التغيرات الاجتماعية.

تُظهر الدراسة تأثير الخلفية التاريخية والثقافية على اختيار الرموز الخاصة بالأزياء في الرواية، مما يعكس ارتباط العمل الأدبي بتحولات زمنية ومجتمعية معينة. وقد تبيّن أن الأزياء تمثل جسرًا يربط بين الماضي والحاضر، حيث ترتبط كل قطعة من اللباس بسياق تاريخي وثقافي معين يُثري القراءة النقدية للنص خاصة أن الزمن الذي تشير إليه الرواية هو زمن تحول ثقافي وانتقال من المجتمع التقليدي للحديث.

- التداخل بين الفن والواقع:

يتضح من النتائج أن استخدام الأزياء في الرواية يتجاوز مجرد الجمالية الفنية؛ فهو يُعد أداة نقدية تسهم في تسليط الضوء على التوترات الاجتماعية والإشكاليات الثقافية. هذا التداخل بين البعد الفني والواقعي يؤدي إلى تقديم قراءة شاملة تجمع بين النقد الأدبي والدراسات الاجتماعية والثقافية.

يهدف البحث إلى فتح آفاق جديدة لفهم العلاقة بين اللغة البصرية والثقافية في النصوص الأدبية، مع تقديم نموذج نقدي يُمكن تطبيقه على أعمال أدبية أخرى تتميز باستخدام الرموز والزي كوسائل للتواصل غير اللفظي.

- الدلالة الثقافية للأزياء:

كما اتضح من الجدول السابق فإن الأزياء في منطقة الحجاز وخاصة مكة منذ عهد بعيد وهي مزيج بين كل الثقافات ولعل أبرزها: التركي أو العثماني والهندي والمصري والأفريقي ولابد من التأكيد على ذلك في سردياتنا الثقافية إذ أن هذا دليل الثراء والتنوع والغنى منذ أن بارك الله هذه المنطقة ونادى بأن يفد إليها الحجاج من كل فج عميق.

- انعكاسات النتائج على الابداع الثقافي والفني:

تقدم نتائج البحث -خاصة فيما يتعلق بالهدف الثالث عن طريق ما تم استخلاصه من أزياء رجالية ونسائية ومسمياتها وأدوارها- معلومات قيمة لأي أعمال سنيمائية أو مسرحية تدور أحداثها في هذه الفترة الزمنية في مكة أو حتى في كتب وقصص الأطفال التي تتحدث عن تراث المملكة ومناطقها ومناسباتها وتحتاج رسما دقيقا للأزياء إن كانت القصة تدور في هذا الزمن مما يحقق الصدق الفني في هذه الأعمال..

التوصيات:

- لابد من توسيع دائرة دراسة الأزياء في الأدب السعودي كظاهرة ثقافية وليس مجرد تحليل للعناصر البصرية لأن هذا الجانب هو محاولة لفهم النظام الرمزي الذي يعبر عن الهوية والانتماء الاجتماعي والثقافي
- تحويل الأعمال الروائية المحلية إلى أفلام ومسلسلات ثرية بصريا ودراميا مما يعد حفظا للثقافة من حيث الأزياء والمكان والأطر الاجتماعية
- دراسات متخصصة في الأزياء لها علاقة بالأدب والأغاني والأفلام والمسلسلات وضرورة ظهور متخصصين يثرون الجوانب الثقافية من جميع جهاتها
- استحداث وتصميم خطوط أزياء لها علاقة بالروايات المختلفة وبالأزياء الموجودة فيها خاصة الروايات الكلاسيكية والمشهورة.

المراجع:

- الزهراني، سعيد. *الرموز الثقافية والأزياء: قراءة في الأدب.* الرياض: دار البيان، 2002.
- البدر، محمد. *تحولات الثقافة البصرية في الأدب العربي.* جدة: مركز دراسات، 1988.
- أنور، عادل* .دراسات في الثقافة البصرية.* القاهرة: مكتبة النهضة، 1999.
- الخطيب، رائد. *العناصر الرمزية في النصوص الأدبية.* عمان: دار اليازوري، 2005.
- بن جديد، جمال. "سيمياء المدينة (مكة): القوة والدلالة -رواية (طوق الحمام) لرجاء عالم أنموذجاً* "القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية*، المجلد 4، العدد 2، 2021.
- رجاء عالم* .طوق الحمام.* الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2010.

- السهوي، منال. "في معنى الأزياء الأدبي." *ضفة ثالثة*، 2024.
- Barthes, Roland. *The Fashion System.* Paris: Editions du Seuil, 1967.
- Hawthorne, Nathaniel. *The Scarlet Letter.* London: Walker, 1851.
- Haziri, L. "Colors and Symbolism in 'The Great Gatsby' by Francis Scott Fitzgerald." *Journal of World Englishes and Educational Practices*, vol. 2, 2020.
- Khan, Sanya. "Drapes and New Dress: A Feminist Analysis of Margaret Mitchell's Gone with the Wind." *International Journal of Creative Research Thoughts*, 2018.
- Morris, Desmond. *The Naked Ape.* London: Jonathan Cape, 1967.
- Shapiro, Lauren. "Middle Eastern Women's Issues: An Analysis of *A Thousand Splendid Suns* and The New York Times." Master's thesis, University of Florida, 2010.
- VanBuskirk, Joy. "Social Construction in *Les Misérables*: A Look at Jean Valjean's Identity Formation in the Context of Symbolic Interactionism's Labelling Theory." English Literature and Modern Languages, Cedarville University, 2005.
- Woolf, Virginia. *Orlando: A Biography.* Hertfordshire: Wordsworth Classics, 2003.